في «مجلس» جمعية «مؤرخي الفن الإسلامي»:

أوراق ومعارض في تاريخ الفن والعمارة الإسلامية

طارق الكحلاوي*

لوحتان تعودان للقرن الرابع عشر ستعرضان في «جنتيلي بليني والشرق»

جمعية «مؤرخي الفن الاسلامي»:

■ تمثل جمعية «مؤرخي الفن الاسلامي» أو «هيا» (مختصرة) (Historians of Islamic Art-HIA) اطارا فريدا للعاملين في مجال تاريخ الفن والعمارة في العالم الاسلامي. وقد تأسست «هيا» سنة 1982 من قبل مجموعة من المختصين في هذا المجال وتحديدا من المقيمين في الولايات المتحدة وكندا من أساتذة جامعيين وحافظي متاحف وباحثين شبان حيث كانت تُسمى في البداية جمعية «مؤرخي الفن الاسلامي الشمال أمريكيين» (North American Historians of Islamic Art) وقد لعب الباحث المعروف أولق قرابار (Oleg Grabar) دورا مهما في تأسيسها خاصة أن الكثير من أعضائها المؤسسين كانوا من بين طلبته الأوائل. غير أن الاتساع التدريجي لأعضاء الجمعية بما في ذلك من العاملين في هذا المجال من خارج أمريكا الشمالية أدى الى تغيير اسمها، ليقع التخلي عن التخصيص على أمريكا الشمالية، كما أصبح هناك مقعد في مكتبها المسير مخصص للأعضاء من غير العاملين في هذا المجال الجغرافي. وتعقد «هيا» سنويا «مجلسا» (Majlis) تتيح فيه لعدد من الباحثين الشبان من أعضائها وخاصة من بين الذين هم في مرحلة اعداد رسالة الدكتوراه لتقديم ورقات في الاختصاصات التي يعملون فيها ويلي كل ورقة نقاش يجمع أعضاء «هيا» من بين جميع الأجيال وهو ما يسمح بتنشيط التفاعل بين باحثين من جامعات ومؤسسات وأعمار واختصاصات متنوعة. ويتم عقد «مجلس» الجمعية في اطار مؤتمرات علمية جامعة وخاصة المؤتمر السنوي الأهم لمؤرخي ونقاد الفن في أمريكا الشمالية بشكل عام والذي تنظمه سنويا «الجمعية الجامعة للفن» (College Art Association-tion). ويتيح ذلك الالتقاء مع باحثين في تاريخ الفن في مجالات جغرافية أخرى غير العالم الاسلامي وهو ما يثري وسائل تحليل معطيات الفن الاسلامي (يمكن العثور على معطيات اضافية حول الجمعية في الموقع الالكتروني التالي: http://www.historiansofislamicart.org/).

«مجلس» 2006

تم تنظيم «مجلس هيا» لسنة 2006 بالتوازي مع انعقاد المؤتمر العلمي السنوي الرابع والتسعين لـ«الجمعية الجامعة للفن» في مدينة بوسطن (Boston) بين 22 و25 شباط/فبراير الماضي وتحديدا في اليوم الأخير وذلك في متحف ساكلر (Sackler Museum) والذي يحتوي على مجموعة من القطع الفنية والمخطوطات الاسلامية المميزة وينضوي في اطار جامعة هارفارد. وترأس «مجلس» هذه السنة وسير النقاش رئيس الجمعية المتخلي ستيفانو كاربوني (Stefano Carboni) حافظ مجموعة القطع الاسلامية في متحف المتروبوليتان في نيويورك. وتم في هذا الاطار تقديم أربع ورقات في مواضيع متنوعة. الورقة الأولى كانت من اعداد الباحثة في جامعة بنسلفانيا يايل رايس (Yael Rice) بعنوان «من مكتبة برين مور: اكتشاف جديد لـ«خمسة» من شيراز من أوائل القرن الخامس عشر»، وتتعلق بتقديم لمخطوط نادر من مجموعة مخطوطات لمكتبة معهد برين مور (Bryn Mawr)، الكائنة في ضواحي مدينة فيلادلفيا، والتي لم تكن معروفة في العادة باحتوائها على مخطوطات اسلامية مميزة، وهذا ليس الا مؤشرا آخر على مدى توزع المخطوطات الاسلامية النادرة عبر العالم بما في ذلك حتى في مكتبات صغيرة نسبيا.

و«الخمسة» هي مجموعة شعرية من خمسة فصول للشاعر الفارسي الكبير «نظامي» (توفي سنة 1209 ميلادي) و تتميز بأن أكثر المخطوطات المنقولة منها مصورة وهي من النماذج الأساسية على تاريخ التصوير الفارسي. ويتميز مخطوط برين مور بحجمه الصغير جدا والذي يجعله من صنف «كتب الجيب» و هو مثال غير رائج كما أنه غير متوقع بالنسبة لمخطوط ضخم مثل «خمسة». وتؤرخ رايس المخطوط على أساس طراز التصوير تحديدا بفعل غياب أي اشارة لتاريخ صنعه، وهي ترجح رجوعه الى أوائل القرن الخامس عشر. غير أن النقاش الذي تلا تقديم الورقة أشار الى امكانية رجوعه أيضا الى فترات متأخرة بما في ذلك القرن السادس عشر. وأشار البعض الى أهمية التركيز على دراسة البالوغرافيا (علم الخط) والتي يمكن أن تساعد على تأريخ العمل. وأجمع الحاضرون على أهمية المخطوط خاصة بسبب تميز حجمه وأهمية مقارنته مع مخطوطات لمؤلفات أخرى من صنف «كتب الجيب».

الورقة الثانية كانت من تقديم كاتب هذا المقال، طارق الكحلاوي من جامعة بنسلفانيا، وكانت بعنوان: «في معنى (نسخ) الخرائط: مثال الخرائط البحرية الاسلامية». وتناول فيها بالتحديد خمسة أطالس بحرية من النصف الثاني للقرن السادس عشر، اثنان منها من صناعة علي بن محمد الشرفي الصفاقسي وثلاثة من اعداد صانعي خرائط عثمانيين من اسطنبول. وناقش الكحلاوي الدراسات المحدودة لهذه الأعمال والتي ركزت على كونها اما كليا أو جزئيا «نسخا» من نوع الاطالس البحرية الأوروبية والتي ظهرت تحديدا منذ بداية القرن الرابع عشر، وهو ما اعتبره الباحث رؤية تندرج ضمن رؤية عامة «وضعية» مبالغ فيها تهيمن على ميدان تاريخ الخرائط البحرية بشكل عام والتي ترى كل خريطة كأنها مجرد «نسخة» لخريطة سابقة. واتجه الباحث الى التركيز على المعطيات المرئية للنماذج الاسلامية ليوضح أن الأطالس العثمانية تعكس رؤية «غير بحرية» من خلال تركيزها على المجال البري، في حين لا تمثل أعمال الشرفي لا تكرارا لنماذج أوروبية ولا لنماذج اسلامية بل هي تشكيل جديد ضمن مشروع مميز في صنف الأطالس البحرية كما أنه يندرج من ناحية بنيته ضمن تقاليد صناعة المخطوط أكثر منه ضمن صناعة الأطلس البحري الذي له مميزات كوديكولوجية خاصة به. وفي الحالتين فان صانعي الخرائط المسلمين لم يكونوا «ينسخون» بقدر ما كانوا «ينقلون» عن أعمال سابقة ضمن رؤاهم وحاجاتهم المميزة. ووافقت المداخلات التي تلت على أطروحة الورقة وخاصة على أهمية اعادة قراءة الأطالس البحرية الاسلامية بما أنها نماذج مهملة للثقافة البصرية الاسلامية في ظرفية مميزة مثل القرن السادس عشر. ونظرا لتوالي المداخلات وكثرتها اضطر رئيس الجلسة الى وقف النقاش حول الورقة الثانية والدعوة الى متابعته خارج الجلسة الرسمية وتم الانتقال الى الورقة الثالثة والتي كانت من تقديم سيمة أختار الباحثة من معهد ماساسوسيتش للتكنولوجيا بعنوان: «جواهر من الشرق: اعادة تعريف الفن الاسلامي من خلال عيون دوريس دوك». وتناولت فيها مجموعة من القطع الفنية والصور والملاحظات الشخصية للأمريكية دوريس دوك والتي كانت مغرمة بالفن الاسلامي خاصة خلال اقامتها الطويلة في الهند. وتشير المعطيات المتوفرة في أرشيف دوك المحفوظ خاصة في نيوجرسي لاعجابها بالطابع الصوفي الغالب على المعطيات التي شاهدتها والى انجذابها الى الطابع الزخرفي المجرد والذي يميز نماذج معمارية أو محمولة. واتجه النقاش الموالي الى لفت الأنظار الى طابع الهواية الذي يميز هذه المجموعة الفنية وضرورة دراسة طريقة تنظيمها وتصفيفها. الورقة الرابعة والأخيرة كانت من اعداد الباحثة باميلا كريمي من معهد ماساسوسيتش للتكنولوجيا بعنوان «اعطاء معنى للفن: مجلات الفن الايرانية في مرحلة ما بعد الثورة والبحث عن رؤية جديدة (1982 ـ 1989)». وتعرضت فيها للتناول الاسلامي الايراني لوظيفة الفن في «المجتمع الجديد»، وخاصة لانخراط عدد من الساسة الايرانيين الكبار بشكل مباشر في التنظيرات الجديدة. وكان من الرؤى الملفتة في هذه المرحلة المتوترة تشبيه المبنى المعماري بالمرأة المسلمة ومن ثمة دعم الاتجاه المعماري الذي لا يركز على الجمالية الخارجية للمبنى بقدر ما يركز على وظيفته، وفي هذا الاطار يأتي «تغليف» المباني المعمارية في طهران خاصة بالجداريات الضخمة للقيادات الروحية والسياسية. غير أن هذا التوجه توازى مع اتجاه آخر في الواقع المعماري، ولو أنه لم يجد الكثير من التنظير في الدوريات والمجلات الفنية، أكثر تعلقا بالعمارة الغربية المعاصرة حتى أنه أعاد انتاج نماذج مستنسخة عن مبان معروفة في الغرب مثل «الكرايسلر بلدينغ» في مدينة نيويورك. واتجه النقاش الى الاشارة الى أهمية الزخم الايديولوجي في الفترة المبكرة من الثمانينات أكثر منه في أواخره وأن النخبة البيروقراطية المشرفة على سياسات التعمير كانت في اتجاه آخر غير الاتجاه الايديولوجي الرسمي خاصة في ظل الضغوطات السكانية الهائلة مع الاتساع الكبير لسكان مدينة مثل طهران.

وفي آخر «المجلس» تم منح جائزة شفشينكو (Sevchenko Prize) لأفضل مقال كُتب في الفن الاسلامي في هذه السنة الأكاديمية وذلك للأستاذة حديثا بجامعة انديانا، والزميلة في جامعة بنسلفانيا سابقا، كرستي قروبر (Christie Gruber) وذلك على مقال مأخوذ من رسالة دكتوراه حول التعبير المرئي لحادثة «الاسراء والمعراج».

وتلا ذلك اعادة توزيع المسؤوليات في الجمعية من خلال انتخاب مكتب تسيير جديد للسنتين القادمتين حيث تم اختيار أستاذة الفن الاسلامي في جامعة بنسلفانيا، وأستاذتي المشرفة، رينانا هولود (Renata Holod) كرئيسة جديدة للجمعية.

معرضا «اللوحة والقلم» و«جنتيلي بليني والشرق»

على هامش «مجلس» جمعية «مؤرخي الفن الاسلامي» تم افتتاح وزيارة معرض بعنوان «اللوحة والقلم» (The Tablet and the Pen) في رواق الفن الاسلامي في متحف ساكلر والذي سيتواصل حتى 23 تموز (يوليو) القادم. وأعد المعرض كل من الباحثتين في قسم تاريخ الفن بجامعة هارفارد لادن أكبرنيا (Ladan Akbar-nia) وشنشل دادلاني (Chanchal Dadlani) وذلك بمساعدة أستاذ تاريخ الفن بجامعة هارفارد دافيد روغسبورغ (David Roxburgh) وماري ماكوليامس (Mary McWilliams) حافظة المجموعة الاسلامية بمتحف ساكلر. ويركز المعرض على مسألة في غاية الأهمية وهي مسار عملية الرسم (painting) وتحديدا المرحلة الأولية منه أي التصوير (drawing) وذلك من خلال سكتشات (sketches) التي وقع حفظها خاصة في ألبومات فارسية وعثمانية ومغولية تم تداولها عبر أجيال متعاقبة من الرسامين المسلمين وكانت الحامل الرئيسي لأنماط محددة يتم تنقلها بينهم. ولعبت هذه الألبومات دور الذاكرة المرئية ولكن أيضا دور مجال للتجريب الفني خاصة في القرنين السادس عشر والسابع عشر، وكيف كانت هذه السكتشات وسيطا لانتشار أنماط مرئية مشتركة ليس فقط ضمن رسوم المنمنمات بل أيضا ضمن مجالات أخرى مثل صناعة النسيج والمعادن.

من جهة أخرى زار المشاركون في «المجلس» في اليوم السابق لانعقاده معرضا بعنوان «جنتيلي بليني والشرق» (Gentili Bellini and the East) وذلك في متحف ايزابيلا ستيوارت غاردنر (Isabella Stewart Gardner Museum) في بوسطن والذي تواصل حتى 26 اذار (مارس) القادم. وتناول المعرض التقاطع بين أحد أهم رسامي النهضة الايطالية المبكرة جنتيلي بليني، والذي ينتمي لعائلة عريقة مثلت مدرسة أساسية في عصر النهضة وتحديدا في مدينة البندقية، والاهتمام العثماني خاصة من قبل السلطان محمد الفاتح (1451 ـ 1481) بأعمال رسوم الوجه (portraiture) والتي كانت مجالا ابداعيا أساسيا في رسوم عصر النهضة.

وأدى هذا التقاطع الى قيام بليني بسلسلة من الرسوم لشخوص عثمانية بما في ذلك أشهرها على الاطلاق رسم وجه للسلطان محمد الفاتح. وعكس ذلك انفتاح النخبة العثمانية الحاكمة على المناهج الفنية الجديدة والدور الخاص الذي لعبته مدينة البندقية في هذا التقاطع. وكان المعرض محور ندوة الخريف (Fall Seminar) لعضوة جمعية «مؤرخي الفن الاسلامي» و أستاذة كرسي الأغا خان للفن الاسلامي في جامعة هارفارد قولرو نجيب أوغلو.

* باحث تونسي في تاريخ الفن الإسلامي- جامعة بنسلفانيا (الولايات المتحدة)

تداعيات

العرب وسيارة المطافئ!

د. عبد العزيز المقالح

■ سيارة المطافئ هو الوصف الذي اطلقه الاستاذ عبد الرحمن عزام اول امين للجامعة العربية على هذه المنظمة الاقليمية التي قطعت من عمرها الطويل ـ حتى الآن ـ اكثر من ستين عاما. ورد هذا الوصف في حديث للاستاذ عزام مع الرئيس جمال عبد الناصر بعد ان كان مجلس قيادة الثورة قد رأى ـ في ايامه الاولى ـ اغلاق هذه «التكية» العربية (والتكية مأوى يقام للعجزة والغرباء وينفق عليه المحسنون من الاغنياء) قال الاستاذ عزام للرئيس جمال عبد الناصر: ارجو ان تعمل على عدم الوقوع فيه (الالغاء) لانه لو لم يكن للجامعة اية فائدة، فيكفي ان تكون ناديا للامة العربية يجتمع فيه المسؤولون مرتين في السنة من كل انحاء المنطقة العربية، هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى فانا اشبه الجامعة العربية بسيارة المطافئ نحتفظ بها ونعتني بها لنجعلها دائماً مستعدة لمقاومة الحرائق، وقد يمر وقت طويل دون حدوث حرائق، ولكن ليس معنى هذا الغاء سيارة المطافئ فقد يشتعل الحريق ولا نجد سيارة لاطفائه في الوقت المناسب، فرد جمال عبد الناصر قائلا: «انه تشبيه بديع وسوف نبقي على الجامعة العربية» (مجلة روزاليوسف العدد 4061 نيسان/ابريل 2006).

هذه هي الجامعة العربية او سيارة المطافئ، والكلمة ليست وصفا بل هي شهادة بالغة الاهمية في صدقها وموضوعيتها صدرت عن ابرز مؤسسي هذه المنظمة التي ولدت معاقة وعاقرا ولم تنجح في اطفاء اي حريق عربي على مدى وجودها، لقد شهدت هذه الجامعة منذ تأسيسها حرائق كثيرة كان اولها واوسعها حريق فلسطين الذي ما يزال دخانه يملأ القلوب والنفوس والاكباد، وكان آخر هذه الحرائق الفاجعة حريق العراق الذي اسهمت الجامعة العربية بشكل او بآخر في التمكين له من خلال مؤتمراتها على الاقل تلك التي اعطت ـ ولو بالصمت ـ الضوء الاخضر للاحتلال الاجنبي الذي اشعل في ذلك البلد العربي حريقا لن يتوقف بل سيمتد وينتشر كانتشار النار في الهشيم.

لقد شهدت جامعة الدول العربية او سيارة المطافئ منذ انشائها في منتصف الاربعينات اهم التحولات الكبرى في العالم سياسية وصناعية واقتصادية لكنها ظلت معزولة وعاجزة حتى عن ادراك ما حولها وعن اطفاء حرائق الخلافات او الاختلافات الصغيرة التي تقوم بين الانظمة العربية بين حين واخر وبذلك وصلت الى هذه الدرجة من التدني وكان عليها ان تتنبه منذ وقت طويل الى ان الحياة تتغير وايقاع الزمن يتغير وان مهام المنظمات الاقليمية والدولية تتغير كما كان عليها ان تعمل شيئا لافتا للاذهان والمشاعر قبل نهاية القرن العشرين ومع بداية القرن الواحد والعشرين لكن شيئا من ذلك لم يحدث وكانت ساعات العالم كلها لا تعرف التوقف في حين ان ساعة الجامعة العربية توقفت منذ زمن واذا ما تحركت فانها تتحرك في الاتجاه الخطأ.

وللانصاف اعترف ان هذه المنظمة حظيت في آخر عمرها بأمين عام لا تنقصه الحيوية والاخلاص وقد عرفته عن قرب رجلا يمتلك شعورا دافئا بالعروبة ورغبة جارفة في ان يصلح ما افسده الدهر لكنه جاء بعد فوات الاوان، وبعد خراب مالطة والبصرة معا، وصار من المستحيل عليه ان يفعل شيئا ينقذ سيارة المطافئ العتيقة التي يرجع انتاجها الى النصف الاول من القرن العشرين. يضاف الى ذلك ان عمرو موسى رجل يجيد الانصات ويفكر طويلا قبل ان يتكلم وهي صفة تتناقض مع المهمة الاساسية التي قامت عليها هذه الجامعة العتيقة جامعة الكلام ولا شيء غير الكلام.

تأملات شعرية:

في مقام الأمة الثكلى
وفي عصر الخيانات
وفي ظل النداءات القصية.
ليس يجدي الصمت
يا شعبا تلاشت ـ عند ما شاء ـ
الارادات العصية.
وبدت رغباته عدلا
وما يفرضه امراً
سخيّ العبقرية.

قص

رحيل

ربيعة ريحان*

■ أمر على مهل من تحت نافذتها العريضة المشرعة، وقت كنت أذهب عند خالتي في هرايات البيض. كنت أراها متشحة بشال الدنتيلا الأسود وهي تقبع في ظل ركن بيتها الأرضي المرتب ذي درجات الموزاييك الثلاث. لم يكن كبيوتاتنا، اذ تحتل فيه مائدة الطعام المحاطة بكراسيها الداكنة ذات المخمل النبيذي مساحة سطحه الأوسط، وحيث دوما هناك صحن فخار آسفيّ مليء بحبات الفواكه المتنوعة الشهية.

كنت أراها في حضورها الصامت كأنما تمسك بشيء ما في حجرها وخلفها خزانة لامعة تتكدس فيها أشياء متلألئة ساحرة، وحولها شمعدانات منتصبة وتماثيل صغيرة وصور مرصوصة على الجدران تطل منها وجوه فتية رشيقة بابتسامات لاتفارق الثغور، أو بملامح متغضنة بتلك النظرة الجدية الشاردة في لفات الفرو.

أدخل بيت خالتي فتعانقني. أتشمم في حضنها عبق الريفدور الذي تحبه وتضع منه أكثر من قارورة في خزانتها.

ـ رأيت السنيورة.. انها هناك..

ـ ما اسمهاش السنيورة، اسمها ايزابيلا..

تسألني عن صحة أمي فأتملص منها وأنا أتقلب بقوة وأحكي عن جلسة جارتها الاسبانية في مقعدها المعتاد.

طيف بسمة على وجه خالتي. تفرح لجيئي لأني أبدد الوحشة عن وحدتها.

ـ أين عزيزي؟

ـ في البحر..

أغرق في تلمظ الحلوى وفي أشياء بيت خالتي، في حواشي مناديلها المخرمة وفي الأصداف الكبيرة التي تزين بها الدكة حيث الراديو، ثم أهرع لأمرر كفي الرطبة مداعبة ظهر قوقعة عقرب البحر الوردية الفارغة على الطاولة الصغيرة فتدغدغني نتوءاتها البارزة أو أفرك وبر جلد الجمل القاسي الذي اشترته خالتي للزينة من جامع الفنا بعد عودتها من مولاي ابراهيم، حيث راحت تستجديه طفلا من وقاحة عقمها.

أترجاها كالعادة ولا ترد:

ـ خالتي.. آخذ هذا الجمل؟

أتقافز هنا وهناك نحو تفاصيل أخرى يخلو منها بيتنا وأنظر بفضول الى لوازم الصيد التي لا تتوفر لأبي البدوي الذي من غير فخذ الخروف يتحرج أن يولم ضيوفه سمكا على مائدة دعوته.

أسأل خالتي:

ـ نذهب عند السنيورة؟

ـ لا ليس اليوم؟

ـ لماذا؟

ـ انها منزعجة.

ـ لماذا؟

ـ لاأدري .. لن نذهب .. تعالي معي الى المطبخ.

تأخذني خالتي الى هناك ثم تعطيني خبزا مدهونا بالزبدة والمربى وتنبهني بلطف كي لا أكسر الأقداح خلفي في الصينية الفضية وأنا ألاعب قدمي في الهواء بعد انبطاحي على الزربية.

ـ أمي ستأتي لتأخذ الحقنة عند السنيورة..

ـ هي قالت لك ذلك؟

ـ اييييييه..

تعلق وكأنها تحادث نفسها:

ـ انها اليوم ليست على ما يرام.

ـ من؟.. أمي؟

ـ كلي وانتبهي .. خلفك الصينية.

دخلت مرات عديدة بيت السنيورة مع خالتي ومع أمي ومع قريبات أخريات. كنت أتضايق وأنا أشم رائحة السجائر القوية لكنني لم أشبع أبدا من مرأى الخزانة والكراسي والأسرة والكنبات ونبتات الأصص الموزعة في الرواق والصحون التي عليها رسوم.

لم يكن بيتها كبيتنا ولا كبيت خالتي ولا كبيوت الجيران . سكينة وأغراض وأباجورات وزهريات ومنحوتات ولم تكن هناك أصداف فارغة ولا قواقع، بل صور لرجال بسواعد مفتولة في عواصف بالبحر يشدون حبالا تحت أمواج هادرة كالشلال وثمة نوارس تحلق من حولهم في البعيد، ثم ذلك المجسم الهندسي الأسر لمركب أبنوسي عند طرف الخزانة، كنت أرغب أن أمسكه بكلتا يدي وأعد أشرعته القوسة الكثيرة المتداخلة ثم أرى ان كان ثقيلا، لكن نظرة نارية من خالتي كانت تجعلني أضع أصبعي في فمي ثم أصمت .

ـ ألاحظت نحولها ووجومها؟

تقول أمي لخالتي بعد عودتنا من عند السنيورة..

ـ غاب صوتها المجلجل وضحكتها الرنانة. منذ أن توفي كوميز وهي كذلك..

ـ لماذا لا ترحل عند ابنتها بالبيضاء؟

ـ هم ليسوا مثلنا.. انهم يفضلون بيوتهم لا بيوت أولادهم.. ثم انها تحب آسفي.

ـ هل ولدت هنا؟

ـ لا أدري .. ربما. اسبان كثيرون ازدادوا بالمدينة..

تعجبني لكنة السنيورة وتعجبني أكثر أظافرها المدببة المطلية بالأحمر وهي تهيىء الحقنة وتحكي. أمي والناس جميعا يقولون ان يدها (رطبة). خبرتها في التمريض طويلة . تشغل الفونوغراف أولا وتضع عليه أسطوانة ضاجة . تلهينا عن الخوف من الألم بالصخب والضحك والحديث المختلط وهي تسحب بالابرة الدواء بقليل من الرجفة لينسكب من الزجاجة الى الحقنة.

ـ ربما لأنها تقول باسم الله وخزتها ناعمة..

ـ ربما.

حين سمعتها أمي لأول مرة استغربت. لم تكن تتصور أن نصرانية تذكر الله بهذه الألفة. ظلت تردد أمام الكل بدهشة:

ـ تقول باسم الله وهي ليست مسلمة؟!!

تفتح السنيورة كل يوم بابها باكرا كي يدخل الهواء البحري الذي يهب من ناحية تراب الصيني جنب الكورنيش ثم تترجل بمنديلها الحريري المزركش لتحضر الخبز الباريسي والحليب لها ولقطتها الشقراء. في العودة تدس رأسها في شق الباب وتصرخ على خالتي .

ـ فتيما!!!!!!!!!!!!!!!!..

تقف قليلا بأكياسها الورقية لتحكي ثم تقول لخالتي بعد أن تدير ظهرها وهي تدرج :

ـ تعالي عندي بعد الفطور.

كنت أشعر بفرح زائد كلما همت خالتي بالذهاب اليها . تضع كحلا في عينيها وتزيل مريلة المطبخ عن بطنها. ترخي أكمام قفطانها وأطرافه خوفا من أن تجد هناك بعض الاسبانيات الأنيقات ثم تسحبني خلفها بعد أن تكيل لي كامل التنبيهات:

ـ اياك والفوضى.. لا تقربي شيئا.. لا تتكلمي كثيرا.. لا.... لا..... لا .....

وبين أن تدير خالتي المفتاح في القفل مرتين ثم نقطع الفسحة التي لا تستغرق وقتا أكون قد نسيت كل شيء.

نقف أمام بابها ولا نطرقه بعد أن نصعد الدرجات الثلاث على مهل . تفعل خالتي ذلك قصدا ولا ندخل حتى ترانا.

ـ خذي.. أعطت خالتي كلبا خمريا مقعيا من البورسلين في جانب من رأسه ساعة ما أن مكثنا قليلا ثم رجتها أن تخبر الجيران ان كانوا يرغبون في شراء شيء من بيتها .

ـ و لماذا تبيعين أغراضك؟

سألتها خالتي مستغربة..

ـ سأرحل قريبا الى اسبانيا.. أشعر أنني سأموت وحدي بعد أن غادر كوميز..

ـ باسم الله عليك.. لأواه.. الله ينجيييييك.

زوجها كان يشتغل في المرسى في بناء المراكب ويفهم جيدا حين يستشار في ترتيق الشباك..

تتعقبني بعينيها قليلا ثم تسأل خالتي بصوت ثقيل:

ـ كم عمر خليمة (حليمة)؟

ـ اثنتا عشر؟

ـ جاتها الحيضة (دم الحيض)؟

ـ ليس بعد ..

أخجل وأتذكر بلوغ صديقتي وحيرتها الفزعة وجفولها حين كانت أمها تعلمها طريقة استعمال الحفّاظ .

أقترب من خالتي وأقول لها بهمس :

ـ حياة هي اللي جاتها الدم..

ثم أعود لأنظر الى الساعة جنب رأس الكلب . كانت كبيرة مدورة بسطح أبيض كالحليب وعليها أرقام سوداء واضحة..

ـ علميها النظافة .. ماريا بعد العاشرة صرت ألوح في وجهها بكيلوتاتها المتسخة..

تسألها خالتي محرجة:

ـ لماذا؟

ـ لتتعلم وحدها تنظيف نفسها.. انها كالسمكة الآن.. تحب الماء..

تسحب السنيورة سيجارة من العلبة أمامها وتقول لخالتي ان جسدها يؤلها وانها لم تعد بقادرة حتى على إعداد الكيك.

ـ ألا تأتي السباعية لمساعدتك؟

ـ تأتي..

علمت السنيورة خالتي أكلات اسبانية كثيرة، وعلمتها خالتي بالمقابل كامل ما تتقنه من حلوى آسفية وطبيخ . كانتا جارتين أليفتين تسمران وتتساران وتتلوان الصلوات كل في وحدتها.

ظللت أحدق في ما حولي بينما هما تحتسيان القهوة . رحت أتململ قليلا وأربت بين الحين والحين على ذراع خالتي. كنت أحثها همسا على الانتباه لي اذ ضقت ذرعا بالاختصار في الصوت والحركة.

تسألني السنيورة ان كنت أود أن آكل شيئا . تجيبها خالتي رأسا أننا أفطرنا منذ حين.

تنظر نحوي قليلا ثم تقوم مبتسمة وسيجارتها في يدها البضة. تغيب في حجرة ركنية بعد أن تشعل فيها النور.

يهتز كل ما في البيت أمام عيني وتتطاير الشهب والنجوم وبرج عقلي. بركة ماء باردة أسقط فيها بشكل مفاجئ وأنا بكامل دفئي وشهقتي.

صدري ينبض بعنف . أضم الدمية العتيقة الزاهية التي انقذفت نحوي بذلك الترف الذي يقوض كل رغبة في التردد . أسمع السنيورة تقول لخالتي:

ـ انها الدمية الوحيدة التي بقيت لي من لعب ماريا..

في الليل ما بعد ذلك النهار وهم يحكون عن السنيورة في حرقة كيف كانت تنام على جنبها في دعة والروج ما زال طريا على شفتيها، وكيف كان جسدها المرتاح باردا تذكرتها بحنان وأنا أهدهد الدمية جنبي في الفراش وأروح تدريجيا مع فرحي في النوم وأرى أنني والسنيورة نتضاحك ونخب بعيدا على مهل وكأنما على عشب هش أخضر ممتد..

* قاصة من المغرب
raihanarab@maktoob.com

الفنانان المغربيان حكيم الغزالي وعبد الله الحريري يفوزان في ملتقى الشارقة الدولي الثاني لفن الخطّ

الرباط ـ «القدس العربي»: هشام محمد المعروف بالبغدادي، كأحد الخطوط المتميزة المستخدمة في عالم الطباعة.

فاز الفنانان المغربيان حكيم الغزالي وعبد الله الحريري بالجائزة الأولى والثانية للاتجاهات المعاصرة في ملتقى الشارقة الدولي الثاني لفن الخط الذي سيستمر حتى 11 حزيران (يونيو) القادم.

وأوضح بلاغ للفنان الحريري أن تتويج المشاركة المغربية كان بفضل تفردها في طرح الحروفية خارج أطرها التقليدية ولزوميات المهارة والخطاطة وتأكيد ضرورات التجديد والتحديث في فن الخط التي تضع المفردات التشكيلية العربية في سياق عالمي يتطلع لبناء نسيج جمالي يتجاوز الأبعاد التقليدية لهذا الفن في العالم العربي.

وقد تم الاحتفال بتكريم الغزالي الفائز بالجائزة الأولى بدبي أثناء اقامة معرض للأعمال الفائزة والذي افتتحه وزير الثقافة بدولة الامارات.

وسيتم استخدام الحرف الفائز في هذا الملتقى، الذي حملت دورته الثانية اسم الخطاط العراقي الراحل

وأكدت لجنة التحكيم الدولية على أهمية جوائز هذا الملتقى باعتباره أول تظاهرة عربية تخصصية تضم الى جانب الفنون الخطية التقليدية الفنون التي تستلهم الحرف والكتابة العربية ومنطوقاتها في الاتجاهات الفنية المعاصرة.

وكان الفنان حكيم الغزالي قد فاز قبل ذلك في المسابقة الدولية لتصميم الحرف الطباعي في مدينة هامبورغ بألمانيا حيث قامت مؤسسة (لينوتايب) باختيار تصميمه الخطي المسمى باسمه.

وقد عرف ملتقى الشارقة لفن الخط العربي مشاركة 150 خطاطا، 35 منهم ينتمون لدول عربية واسلامية، عرضوا أكثر من 700 عمل فني في مجال الخط العربي.

واستهل هذا الملتقى بتنظيم ندوة دولية في موضوع «الخط العربي بين العقل والنقل» شارك فيها عدد من الخطاطين بأوراق عمل وبحوث، اضافة الى أوراش تجريبية في هذا المجال.